القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت الملايكة رب ذلك عبدك يريد ان يعمل سيية وهو ابصر فقال تعالى ارقبوه فان
عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من اجلي وحيث قال لم يعملها ان اراد به تركها لله عز وجل فاما اذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف تكتب له حسنة وقد
قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان
يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراة ومات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيية ولم يعملها
والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص
في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله تعالى لا يواخذ بالنية والهم
وكلما دخل تحت اختيار العبد فهو ماخوذ به الا ان يكفره بحسنة تمحوها والهم بحسنة حسنة ولذلك
كتبت حسنة واما فوات المراد بعايق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث
النفس وهيجان الرغبة فليس يدخل تحت الاختيار فالمواخذة به تكليف ما لا يطاق فلذلك لما نزل
قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جا اناس من الصحابة رضي الله عنهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب
بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرايل سمعنا وعصينا قولوا
سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كلما لا يدخل تحت
الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يواخذ به فهذا هو كشف الغطا عن هذا الالتباس وكل من يظن ان
كلما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلثة فلا بد ان يغلط وكيف لا
يواخذ باعمال القلوب والكبر والعجب والريا والنفاق والحسد وجملة الخبايث من اعمال القلوب بل السمع
والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع بصره بغير اختيار على غير
محرم لم يواخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مواخذا بها لانها مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا
المجرى بل القلب اولى بمواخذته لانه الاصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب
ثم قال لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم وقال الاثم حزاز القلوب وقال
البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شي وكان
مخطيا صار مثابا عليه فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له ثواب بفعله
وان ترك ثم تذكر بعد ما علم فهو آثم ومن واقع امراة فظن انها زوجته لم يعص بوطيها وان كانت اجنبية
وان ظن انها اجنبية عصى بوطيها وان كانت امراته كل ذلك لا نظر الى القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا **اعلم** ان العلما المراقبين للقلوب
الناظرين في صفاتها وعجايبها اختلفوا في هذه المسلة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع
بذكر الله تعالى لانه صلى الله عليه وسلم قال فاذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت فكانه يسكت
وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر
يحجب عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه
وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن تسقط غلبته للقلب وكانه يوسوس من بعد
وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر به في لحظة
ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهو كالكرة التي عليها نقط متفرقة
فانه اذا اديرت بسرعة رايت النقط دواير لسرعة تواصلها بالحركة واستدلوا بان الخنس قد ورد
ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة
والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى بعينيه شيين في حالة واحدة
فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيين وقد قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان
في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا
في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد
الى صنف واحد من الوساوس واخبر عنه والوساوس اصناف الاول ان يكون من جهة التلبيس بالحق
فان الشيطان قد يلبس الحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن
الشهوات طول العمر المه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه
وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما
فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع
ان يقول له ليس النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه
بكتاب الله تعالى يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في عمله ويقول
اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد ان معرفته وقدرته
وقلبه واعضاءه التي بها عمله كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يعجب فيخنس الشيطان اذ لا
يمكنه ان يقول ليس هذا من الله فان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوساوس ينقطع بالكلية
عن العارفين بنور الايمان والمعرفة **الصنف** الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها
وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس
الشيطان عن تهييج يوثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى موثرا

Copyright © King Saud University